المحاضرة الخامسة

– الدولة الفاطمية وقيامها بالمغرب الإسلامي: التاريخ السياسي

1. مفهوم الشيعة اللُّغوي والاصطلاحي:

جاء في المدلول اللَّغوي للشيعة هم الصحب والأنصار والأتباع، ففي تعريف ابن خلدون للشيعة يقول: اعلم أنَّ الشّيعة لغة هم الصّحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسّلف على اتّباع عليّ وبنيه، ومذهبهم جميعا متّفقين عليه أنَّ الإمامة ليست من المصالح العامّة الّتي تفوّض إلى نظر الأمّة ويتعيّن القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدّين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبيّ إغفاله ولا تفويضه إلى الأمّة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصّغائر.

وفي قول ابن منظور: *الشّيعة* القَوْمُ الَّذِينَ يَجْتَمِعون *عَلى* الأمر. وكلُّ قَوْمٍ اجتَمَعوا *عَلى* أمْر، فَهُمْ *شِيعةٌ*. وكلُّ قَوْمٍ أمرُهم واحِدٌ يَتْبَعُ بعضُهم رأْي بَعْضٍ، فَهُمْ *شِيَعٌ* قالَ الأزهري: ومَعْنى *الشِّيعَةِ* الَّذِينَ يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ولَيْسَ كُلُّهُمْ مُتَّفِقِينَ، قالَ اللَّهُ تعالى: (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا)؛ كلُّ فِرْقةٍ تكفِّر الفِرْقَةَ المُخالِفَةَ لَها، يَعْنِي بِهِ اليَهُودَ والنَّصارى، لأنَّ النَّصارى بعضُهُم يكَفِّر بَعْضًا، وكَذَلِكَ اليَهُودُ، والنَّصارى تكفِّرُ اليَهُودَ واليهودُ تُكَفِّرُهُمْ وكانُوا أُمروا بِشَيْءٍ واحِدٍ.

أمَّا مدلولها الاصطلاحي يعرفها الشهرستاني بقوله: الشيعة هم الذين شايعوا عليا –رضي الله عنه– على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إمَّا جليا، وإمَّا خفيا. واعتقدوا أنَّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله... وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية. وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه.

أمَّا في نص ابن خلدون فيقول: أنَّ عليّا –رضي الله عنه– هو الّذي عيّنه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤوّلونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السّنّة ولا نقله الشّريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة.

ويذكر ابن حزم أنَّ الشيعة ترى فِي أن عليا –رضي الله عنه– أفضل النّاس بعد رَسُول الله ﷺ وأحقهم بِالإمامَةِ وولده من بعده فَهُوَ شيعي، وإنْ خالفهم فِيما عدا ذَلِك مِمَّا اخْتلف فِيهِ المُسلمُونَ فَإنَّ خالفهم فِيما ذكرنا فَلَيْسَ شِيعِيًّا ومن وافق الخَوارِج من إنْكار التَّحْكِيم وتكفير أصْحاب الكَبائِر والقَوْل بِالخرُوجِ على أئِمَّة الجور، وإنَّ أصْحاب الكَبائِر مخلدون فِي النّار وأنَّ الإمامَة جائِزَة فِي غير قُرَيْش فَهُوَ خارجي، وإن خالفهم فِيما عدا ذَلِك مِمَّا اخْتلف فِيهِ المُسلمُونَ خالفهم فِيما ذكرنا فَلَيْسَ خارجيًا.

2. الإسماعيليون وبداية الدعوة الشيعية الإسماعيلية:

بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق سنة 148هـ انقسمت الشيعة إلى فرقتين، يذكر لنا ابن خلدون فرقة الاثني عشرية والإسماعيلية، فالاثني عشريّة نقلوا الخلافة من جعفر بعد الحسن والحسين وعليّ زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم وولده على سلسلة واحدة إلى تمام الاثني عشر، وهو محمد المهدي وزعموا أنَّه دخل سردابا وهم في انتظاره إلى الآن. والإسماعيلية الذين نقلوا الخلافة من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل الذي مات في حياة والده وساقوا الخلافة إلى ابنه محمد بن إسماعيل، ثم ساقوها إلى أن انتهوا بها إلى عبيد الله المهدي، وهم العبيديّون... وهي من كذباتهم، ولا يعرف لمحمد بن إسماعيل ولد اسمه عبيد الله. وكان شيعة هؤلاء العبيديّين بالمشرق واليمن وإفريقية. وسار إلى إفريقية بمذهبهم رجلان يعرف أحدهما بالحلوانيّ والآخر بالسفيانيّ أنفذهما الشيعة إلى هنالك وقالوا لهما: إنّ المغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يحيا صاحب البذر، وسارا لذلك ونزلا أرض كتامة.

وبفضل هاذين الداعيتين كانت بداية انتشر المذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب وأرض كتامة، وبعد موتهما انتقلت بلاد المغرب إلى مرحلة جديدة تعزز خلالها انتشار هذا المذهب، فبعد أن وصل خبر موتهما للداعية الشيعي ابن حوشب الذي كان باليمن قال لداعيتِه أبِا عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ الذي سبق وتعلم أسرار الدعوة باليمن: يا أبا عبد الله، أرض كتامة من

المغرب قد حرثها الحلوانيّ وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنّها موطأة ممهّدة لك، الذي أقامَ الدَّعْوَةَ لِلْمهْدِيِ، بعد لقائه بالحجاج الكتامين بمكة والتقرب منهم ليحدثهم عن فضائل أهل البيت وما خفي عنهم، ورافقهم لبلادهم بعد أن كان قاصدا بلاد مصر، فتعلقوا به وأعجبوا بعلمه الواسع خاصة بعد تخليصهم من حكم دولة بني الأغلب، ليستدعي الإمام عبيد الله المهدي للقدوم إلى بلاد المغرب.

قيام الدولة الفاطمية بالمغرب:

كان ابتداء دولتهم بالمغرب سنة 297هـ في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد ببغداد، وانقراضها سنة 567هـ على يد صلاح الدين الأيوبي أيام المستضيء بأمر الله العباسي، دامت مدة حكمهم 270 سنة وعددهم أربعة عشر خليفة، منهم ثلاثة بالمغرب وأحد عشر بمصر والشام.

ومؤسس الدولة هو عبيد الله الملقب بالمهدي، الذي دعي له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة سنة سبع وتسعين ومئتين، ويذكر المقريزي أنَّ عبيد الله الملقب بالمهدي: هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الأهوازي، وأصلهم من المجوس. ويذكر ابن كثير أنَّه سُمِّي القَدّاحَ؛ لِأَنَّهُ كانَ كَحّالًا يَقْدَحُ العُيُونَ.

في حين هناك من يرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب وأنَّه من آل البيت، وهذا من بعد هربه من سلمية، ولكن آباؤه من قبله لم يدعوا هذا النسب؛ وإنَّما كانوا يظهرون التشيع والعلم، وأنَّهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنَّه حي لم يمت.

ولم يتم لسعيد أمر المغرب إلاَّ أن قال: أنا من آل رسول الله ﷺ فتم له بذلك الحيلة والخديعة، وشاع بين الناس أنَّه علوي فاطمي من ولد إسماعيل بن جعفر، فاستعبدهم بهذا القول، وخفي أمر مذهبه عليهم، إلاَّ من كشف له من خاصته ودعاته وهناك الكثير من الناس من لا يزال يعتقد بهذا النسب الذي يعود إلى علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كانت وفاته منتصف ربيع الأول عام اثنين وعشرين وثلاثمائة بالمهدية، ومدة ملكه ستاً وعشرين سنة وشهورا.

3. الدولة الفاطمية في عهد الإمام عبيد الله المهدي مؤسس الدولة:

قام المهدي بعد تأسيس الدولة واستقرار أمره بالعديد من الأعمال منها:

- القضاء على الداعية الشيعي عبد الله، قتله وأخوه العباس سنة 298هـ، وذلك لأنَّه أصبح يشكل خطرا على الخليفة المهدي، ومخافة استقلاله بالمغرب بفضل المكانة التي حضي بها بين القبائل المغرب، ففي قول ابن حماد: "قتل أبا عبيد الداعي وأخاه أبا العباس يوم الثلاثاء سنة 298هـ ببستان في القصر... وقتل جميع من والاهما من شيوخ كتامة.
- القيام بحملات عسكرية على مصر، حيث وجه المهدي ابنه وولي عهده أبا القاسم إلى ديار مصر دفعتين، الأولى منهما في سنة 301 ملك خلالها الاسكندرية والفيوم وجنى خراجهما وخراج بعض عمال الصعيد والثانية في سنة 306.
- قام المهدي ببناء مدينة المهدية بإفريقية، فبعد أن استقامت الخلافة للمهدي قام ببناء المهدية وجعلها دار لملكه، بدأ بنائها سنة 303هـ وفرغ منها سنة 308 وبنى سور تونس وأحكم عبارته، إضافة إلى بناء دار الهجرة على مقربة من قسنطينة وقام بتسمية أتباعه وأشياعه من كتامة وغيرهم بالمؤمنين، وبنى دار الصناعة وهدم قصور بني الأغلب، وخربها وطمس معالمها
- أدخل العديد من التغييرات في الحياة الدينية للسكان، فقطع صلاة التراويح في شهر رمضان وأمر بصيام يومين قبله وقنت في صلاة الجمعة قبل الركوع وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة وأسقط من أذان صلاة الصبح: (الصلاة خير من النوم) وزاد (حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر) ونص الآذان طول مدة بني عبيد بعد التكبير والتشهدين (حي على الصلاة وحي على الفلاح) مرتين ((حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر)) مرتين... إلى غاية قولهم أحياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين، جامع شمل الإسلام والمسلمين... ، والعديد من التغيرات التي مست الجانب الديني من صلاة وصيام وميراث وأعياد.

- جعل ولاية العهد من بعده لابنه أبي القاسم نزار الذي تولاها سنة 322هـ، وولّى على برقة وما إليها حباسة بن يوسف، وعلى المغرب أخاه عروبة، وأنزله باغاية فسار إلى تاهرت فاقتحمها، وولّى عليها دواس بن صولات اللهيص

4. الدولة الفاطمية في عهد الخليفة أبي القاسم القائم بالله:

وهو ثاني الخلفاء الفاطميين بالمغرب ولد بسلمة من بلاد الشام، تولى الملك بعد موت أبيه سنة 322هـ، وكانت وفاته بالمهدبة تحت حصار البربر سنة 334هـ، دامت مدة حكمه 12 سنة، وفي سنة 323هـ كان توجه بجشيه لفتح مدينة جنوة بإفريقية وأوقعوا بأهل سردانية لتتسع حدود الدولة في عهده وولى الخلافة من بعده لابنه المنصور.

5. الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المنصور بن أبي القاسم:

ولد المنصور بن أبي القاسم بالمهدية سنة 299هـ وقيل 302، تولى الحكم وعمره 32 سنة، تميز بالشجاعة وفصاحة اللسان، وكان عهده مليء بالحروب مع أبي يزيد، كما قام ببناء مدينة قرب القيروان سماها باسه المنصورة التي أصبحت دار لملكهم وملك من بعدهم.

6. الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المعز لدين الله:

وهو بن تميم ولد بالمهدية سنة 319 وولي وله 22 سنة بعد موت والده المنصور، كان شجاعا وشهما في عهده اتسعت مملكته، وفي عهده توجه الجيش الفاطمي بقياده جوهر الصقلي إلى مصر وافتتحها للفاطميين سنة 358 بعد هروب أعيان الدولة الإخشيدية من مصر إلى الشام وموت ملكهم وقبل وصول جوهر إليها، ليتم إقامة الدعوة للمعز بالجامع العتيق، كما قام القائد جوهر الصقلي ببناء القاهرة لينتقل المعز إلى الإسكندرية سنة 362هـ واستقر بقصره بالقاهرة في 363هـ، إلا أنَّه في سنة 364هـ قام المعز بعزل القائد جوهر الصقلي عن دواوين مصر تخوفا منه.

وقد قام المعز بالقاهرة مدة سنتين ونصف إلى أن مات سنة 365هـ، دامت مدة حكمه 23 سنة بالمغرب والقاهرة، وكانت الولاية من بعده لولده أبي المنصور العزيز بالله الذي تولاها بمصر.

وكان وجهتهم الى المشرق لانه لم يكن المغرب غايتهم الاولى، فقط عملوا على بث فيه الدعوة لانه كان بعيد عن الخلافة العباسية اما تاسيس دولتهم فكان هدفهم تاسيسها بالمشرق والقضاء على الخلافة المركزية العباسية وكان لهم ما ارادوا بهجرتهم الى مصر وساعدهم في ذلك بعض الظروف منها: الموقع الاستراتيجي لمصر وقربه من الخلافة العباسية، وموت الملك الإخشيدي، إضافة إلى ما تضمه مصر من ثروات طبيعية، وهروبا أيضا من الثورات البربرية التي أصبح البربر يقومون بها ضد الفاطميين بالمغرب، لينتهي عهد الدولة بالمغرب وينتقل إلى مصر.

ب/الحياة الحضارية في الدولة الفاطمية:

تميزت الحياة الحضارية في الدولة العبيدية بنشاط اقتصادي فقد وجد عبيد الله المهدى شمال أفريقيا في حال مزدهرة بفضل تطور حياة المدن، ممّا ساعد الفاطميين على تأسيس جيش وأسطول قويين. ورغم كثرة الفتن والاضطرابات وشيوع الفوضى التي كثرت في بعض الفترات فإنَّ مصر الفاطمية بشكل عام كانت تنعم بالرخاء بفضل الإدارة الحاسمة واستقرار الأجهزة المالية والإدارية، والعوائد العالية من التجارة والزراعة، وكثرة ما يجمع من خراج بالإضافة للذهب الذى كان يستخرج من بلاد النوبة، وأهم الزراعات في العهد الفاطمي هي القمح والشعير والخضروات المختلفة وقصب السكر والنباتات المستخدمة في الأصباغ، والمزروعات التي تستخدم كأعلاف للماشية، وشهد هذا العصر أيضا زراعة القطن، ولم يكن إنتاج الأخشاب كافيا للاستهلاك المحلى. أمَّا الصناعة فكانت منتعشة خاصة صناعة النسيج التي ساعد على ازدهارها زراعة الكتان، وشهدت القاهرة مصانع المنسوجات الحريرية وأنشأ المعز لدين الله فيها دار الكسوة. فعند قدوم جوهر، كانت مصر تمر بأخطر أزمة اقتصادية عرفتها منذ أكثر من قرن وهي أزمة لم تتوقف عن التفاقم منذ سنة 352هـ / 963 م واستمرت لمدة ثلاث سنوات بعد الفتح الفاطمي. واهتم جوهر في أول الأمر بالقضاء على المجاعة واستتباب النظام ومعالجة الأمور بسخاء.

كان الكتان يزرع في الأراضي المنخفضة التي تظل مغمورة بالمياه مدة طويلة. لذلك انتشرت زراعته في الدلتا والفيوم، أمَّ قصب السكر فقد توسع المصريون في زراعته في العصر الفاطمي، وكثيرا ما نقص فيضان النيل عن المستوى العادي اللازم لري الأراضي كما حدث

سنة 457 هـ في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، حيث حل بالبلاد المصرية الشدة العظمى التي استمرت سبع سنوات.

واتسمت الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي بمظاهر العظمة والأبهة التي لم تقتصر فقط على الخلفاء بل تعدتهم إلى الوزارة وكبار رجال الدولة – كذلك فقد امتازت احتفالات الفاطميين المختلفة بالبلخ والروعة، وشهدت العديد من الأسمطة (ج. سماط) التي كان يقدم فيها الكثير من أنواع الأطعمة والحلوى التي وفروا لها المقادير الكبيرة من الدقيق والسكر اللازمة لصناعتها.

وفي الحياة الدينية اهتم الفاطميون بالاحتفال بالأعياد الدينية في شيء كثير من الأبهة والعظمة فمنها عيد الفطر، وعيد الأضحى، ورأس السنة الهجرية، ومولد النبي ﷺ ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد ولديه الحسن والحسين، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ويوم عاشوراء، هذا إلى مواسم أخرى، وهي ليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه.

اهتم الفاطميون منذ استقر سلطانهم في مصر بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية فضلا عن الثقافة المذهبية التي تتصل بالدعوة الإسماعيلية كالفقه والتفسير. وكان للجامع الأزهر أثر كبير في النهوض بالحياة الثقافية في مصر. وقد ظهرت فكرة الدراسة به في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي حسين قام قاضي القضاة أبو الحسن على بن النعمان المغربي بشرح كتاب "الاقتصار" الذي وضعه أبوه؛ ويشتمل على مسائل فقهية استمدها من أئمة أهل البيت، كما شهد العهد الفاطمي نشاطا فكريا وأدبيا وفنيا كبيرا. ففي الشمال الأفريقي ارتفع شأن شعراء البلاط كابن هانئ الذى كان شديد التعاطف مع المذهب الاسماعيلي وشهد العصر الفاطمي علماء في مختلف المجالات، فمن المؤرخين هناك ابن زولاق والمُسَبِّحى والقضاعي مؤلف كتاب الديارات والشابشتي امين خزانة كتب العزيز، وابن المأمون البطائحي، والقاضي الرشيد ابن الزبير مؤلف كتاب الذَّخائر

المحاضرة السادسة

- الدولة الزيرية:

ا/ التاريخ السياسي:

ان بني زيري الذين خلفوا ملك الفاطميين بعد رحيلهم الى مصر ينتمون الى قبيلة صنهاجةالتي كانت تكبر القبائل المغربية عدة وعددا وكانمن اكبر بطونها "تلكاتة التي كان يحكمها مناد ، كانت مضاربها مابين المغرب الاوسط وافريقية ومنها خرجت دولة بني زيري بن مناد.

ينسب الزيريين والحماديين الى الفرع البرنسي الحضري في مقابل الفرع البتري البدوي من ولد برنس بن بر.

ان الحديث عن الدولة الزيرية يجرنا الى الحديث على بدايات التاسيس لهذه الدولة وحكم الفاطميين ، فقد تمكن الفاطميون من الحصول على ولاء قبيلة صنهاجة وزعيمها زيري بن مناد بن منقوش ، وكان ذلك التقرب لاسباب منها حسب قول المؤرخ ابن خلدون " انه لما ااستوسق الملك للشيعة بافريقية تجندوا اليهم لولايتها لآل علي رضي الله عنه"، ولاجل كذلك للعداوة بينها وبين زناتة ذات المذهب السني، وكذلك للقوة العسكرية التي اضحت عليها هذه القبيلة مقارنة بالقبائل الاخرى، هذه الامور ادت الى التحالف والتعاون بينهم ، فعقد زيري بن مناد الالوية للشيعة وخطبوا لهم على المنابر، واستظهر بهم على عدوه من زناتة.

عمل زيري بن مناد على تقديم خدماته للخلفاء الفاطميين في الكثير من الثورات كثورة يزيد بن كيداد ، فقد ساعدهم في فك الحصار عن المهدية وتزويدهم بما يحتاجونه من مؤونة نتيجة الاوضاع السيئة التي آلو اليها، ولهذا اصبحت العلاقة بينهم متينة وكثرت المودة ، ففي عهد المعز لدين الله عظم وقوي شأن زيري في المغرب الاوسط ، فساعدوا المعز الى الدخول الى فاس و المغرب الاوسط سنة 342هـ/953م، ونتيجة تقديم الخدمات للفاطميين حصلوا هم بالمقابل على المناصب فقد عينه المعز على قلعة آشير وماجاورها

وكما تحدثنا سالقا ان طموح الفاطميين هو تاسيس خلافة بالمشرق وليس بالمغرب، فبعد تهياها الى الرحيل الى مصر نتيجة الفتن التي ظهرت ببغداد وسوء الاحوال بمصر ، جعلها تتجه اليها،، فارسل جوهر الصقلي 358هـ-909م واستطاع ان يهيئ الظروف، وان يتمكن من السيطرة على الاوضاع هناك .

ولم يستطيع ان يتركما حازه ببلاد المغرب ليكون له ولملكه ردعا وقوة في المشرق وهو ما ذكره المقريزي "ان المعز قبل رحيله استقدم جعفر بن علي بن حمدون وعرض عليه ان يتولى امارة المغرب بشرط ان يبقى تحت ولائهم الا انه شرط هو الاخر شروط توحي بنيته في الاستقلال عنهم ، فغضب منه المعز ولم يقبل شروطه ، فاعفاه واوكل الامر الى بلكين بن زيري بن مناد وعرض عليه فقبل وابدى لهم الولاء، فولاه على افريقية والمغرب كافة ماعدا صقلية يوم الاربعاء 20 دي الحجة 361هـ/972م.

اعطى له المعز المال والجيش واطلق يده في الاعمال وجباية الخراج وادارة الاقاليم، وسلم له الخاتم وكناه المعزبابو الفتوح ولقبه بخليفة امير المؤمنين.

عمد هذا الاخير الى الزحف نخو المغربين الاوسط والاقصى لاسترجاعها ن فسار في جيش عظيم وتوجه الى تاهرت لما سمع ان سكانها طردوا عاملها فاستولى عليها عنوة في 362هـ، ثم ذهب الى تلمسان التي استسلمت له دون قتال ثم رجع الى القيروان بطلب من الخليفة بالقاهرة، بعد رجوعه الى افريقية با ثلاث سنوات شرع بلكين في هـ368/979م في الاستعداد للزحف الى المغرب الاقصى، كان على راس ستة آلاف فارس، استولى على فاس وسجلماسة ، ثم على البصرة وبورغواطة، بعدها توفي سنة373هـ.

كات المنصور في مدينة آشير لما بلغه وفاة ابيه فبويع على الامارة من طرف اكابر ووجهاء المملكة، انتهج سياسة لينة مع الرعية كان محبا للعدل وهو الذي قال قولته المشهورة" ان ابي وجدي اخذا الناس بالسيف قهرا وانا آخذالناس بالاحسان، ولست ممن يولي ولايعزل بكتاب ولااحمد في هذا الملك الا الله ...." ، توفي سنة 386هـ، خلفه ابنه باديس الذي خالف وصية المعز وعين على آشير عمه حماد ،وعمه ابي البهار على تاهرت تميزت فترة حكمه بكثرة الثورات ضد قبيلة زناتة، واجه تمردات من طرف اعمامه ماكس وزاوي، وخلافه مع اعمامه ابراهيم وحماد ، وبحدثين مهممين هما: ثورة حماد عمه بالمغرب الاوسط التي انتهت

بحروب والاضطرابات الاولى المضادة للشيعة التي اندلعت في افريقية وقد انجر عن ذلك انبعاث مملكة بني حماد ، وقطع العلاقات مع القاهرة في عهد المعز بن باديس.

اختط حماد مدينة القلعة سنة 398 بجبل كتامة محتاطا من باديس، شب الخلاف بينهم حول مناطق النفوذ اذ طلب باديس من عمه ان يتنازل ويرفع يده عن ما اجتباه من اعمال ولم يلبي طلبه عمه حماد سنة405ه الى ان وافته المنية سنة406ه/1015م.

بويع بالحكم بعد وفاة باديس المعز ابنه وكان عمره 08 سنوات وما يميز فترة حكمه تلك الصراعات بينه وبين عمه حماد وكذا اعلانه قطع الولاء مع الفاطميين ن دام حكمه47 توفي سنة 453ه/1061م ، خلفه ابنه تميم 453ه-501ه(1061-1108)، يعتبر عهده نهاية الدولة وانقسام ملكهم بين الهلاليين وبعض زعماء زناتة وصنهاجة، بعده تولى الحكم يحيابنه 501-509ه،كان حاذقا في تدبير شؤون دولته واتسم حكمه بالعدل ، خلفه بعده اخوه علي بن 509-515هن واهم ماميز عهده حصاره لتونس وبها احمد بن خراسان حتى استقام على طاعته، كما فتح جبل وسلات، توفي 515-1121م، وكان اخرهم الحسن بن علي وهو خاتمة الملك الصنهاجي بتونس تعرض لعدة صعوبات اثناء فترة حكمه حين وقع الاختلاف بين اصحابه وتمرد قواته، اضافة الى الهجمات المتكررة للنورمان ، لكن سرعان ما كانت نهاية ملكه على يد النورمان ، وانتهى امره بهروبه الى ابن عمه يحي بن العزيز الى ان سقط ملكهم في يد الموحدين.

ب/التاريخ الحضاري:

شهدت الدولة الزيرية انتعاشا كبيرا على مختلف الاصعدة، ففي مجال الزراعة كان هناك تطورا ملحوظا اذ اصبح القمح والحنطة الانتاج الرئيسي في بلاد افريقية، كما اشتهرت عدة مناطق منها بزراعة الحنطة على حد قولابن حوقل" باجة بانها مدينة ازلية كثيرة القمح والشعير".

ويعتبر الزيتون من اهم المغروسات بافريقية وسفاقس حسب نفس المصدر في قوله" وجل غلاتها الزيتون والزيت وبهام اليس يوجد بغيرها مثله"

كما اشتهرت افريقية بكثرة النخيل حسب البكري، وتنوهت الاسواق والمنتوجات ووسائل الري .

اما الصناعات فقد اشتهرت بكثرة صناعة الحرير " يعمل فيها الحرير الغزير، وهو ادق الحرير، ولايعمل الا في قابس"، فضلا عن صناعة الخزف التي انتشلرت بتونس وكانت تعرف بالزيجية والتي تتصف بشدة البياض والرقة، وكانت صناعة الملح بكثرة خاصة في منطقة لمطة، كمااشتهرت الصناعة الجديدية وصناعة الذهب والفضة والنحاس والرصاص كما برزت الصناعة الخشبية.

كما شهدت خلال هذه الفترة تطورا ملحوظا في ميدان التجارة وتمكنوا الزيريون من فرض سيطرتهم على التجارة البحرية .

وازدهرت الحياة العلمية والثقافية في عهد بني زيري خاصة بالقيروان وذلك لتوفر عدة عواملمنها: الموقع الجغرافي ، الرحاء الاقتصادي ، تشجيع الامراء للعلم واهله ، تقديم تسهيلات الرحلة العلمية، الطرق البرية والبحرية ساعدت في تسهيل مهام نيل العلوم من جيرانهم المغاربة وعدوة الاندلس.

تطورت الحركة الادبية في عهد المعز بن باديس الذي اشتهر بحبه وتشجيعه للاهل العلم والادب، فاحسن اليهم واغدقهم بالعطاء ، ومن العلماء الذين برزوا نذكر ابو عمران الفاسي اصيل فاس نزيل القيروان ، تفقه بها وكذلك ابوجعهر الداودي

المحاضرة السابعة

-الدولة الحمادية

ا/-التاريخ السياسي:

***موقع قلعة بني حماد:**

تقع قلعة بني حماد بجِبال البَرْبَرِ فِي المَغْرِبِ حسب قول مرتضي الزيدي، وتعرف أيضا باسم مدينة قلعة أبي طويل، وهي في جبل عظيم، حصينة منيعة لا تمكن بقتال، وحسب ما قاله محمد مقديش فهي تعد من أكبر البلاد قطراً وخلقا، وأعزها خيراً وهي في سند جبل يسمّى تاقربست، وأعلى هذا الجبل متّصل ببسيط من الأرض، ومنه ملكت القلعة.

وقلعة بني حماد متعلقة بجبل عظيم مطلّ عليها، وقد احتوى سورها المبني على جميع الجبل طولا وعرضا، وفي جنوبها أرض سهلة لا يرى الناظر فيها جبلاً عاليا ولا شارفا إلاَّ على بعيد، وعلى مسيرة أربع مراحل ترى جبالاً لا تتبين أرضها.

وجاء في مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن بن عبد الحق: قلعة بنى حمّاد مدينة متوسطة بين أكم وأفواز، لها قلعة عظيمة على قلّة جبل تسمى بافريوشت تشبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية وهى قرب أشير من أرض المغرب الأدنى.

وكانت المملكة الحمادية من تأسيسها إلى وفاة محسن بن القائد تشتمل على المدن والمناطق التالية: قلعة بني حماد والمسيلة وطبنة والزاب واشير وتاهرت ومرسى الدجاج وبلاد زواوة ومقرة ودكامة وبلزمة وسوق حمزة. وفي عهد بلقين بن محمد خضعت مدينة فاس للسلطة الحمادية. في أيام الناصر بن علناس توسعت المملكة الحمادية توسعًا كبيرا حيث ليدخل عدد كبير من المدن والمناطق تحت السلطة الحمادية وهي مليانة ونقاوس وقسنطينة والجزائر وبسكرة وصفاقس وقسطيلية وتونس والقيروان.

-بني حماد وبداية الدولة:

يعود نسب بني حماد إلى أول من بنى هذه القلعة هو حمّاد بن بلكين وإليها تنسب دولة بني حمّاد. وحماد بن بُلكّين بن زيري ابن مناد الصنهاجي من قبيلة صنهاجة، كان شجاعا جوادا، قرأ الفقه في القيروان وعاش مع أبيه وأخيه المنصور بن بلكين.

وفي الحديث عن قبيلة صنهاجة البربرية التي ينتسب إليها بني حماد فهم بطن من البرانس من البربر، مساكنهم ببلاد المغرب، وهم بنو صنهاجة بن برنس بن بربر، ويقال بنو صنهاج بن أوريع ابن برنس بن بربر، ويقال أنَّهم من حمير من عرب اليمن وليسوا من البربر. قاله الطبري، والمسعودي، وعبد العزيز الجرجانين وابن الكلبي، والبيهقي وحكى ابن حزم: أنَّ صنهاج إنَّما هو ابن امرأة اسمها بصلي وليس له أب معروف وأنَّما تزوجت بأوريع وهو معها فولدت له هوازن فكان صنهاجة أخًا هوازن لأمه، وصنهاجة من أكبر قبائل البربر بجنوب المغرب الأقْصى وهِي أرومة دولة المرابطين مؤسسي مَدِينَة مراكش الَّذين شَمل نفوذهم مُعظم الغرب الإسلامي من أقْصى بِلاد الأندلس شمالا إلى بِلاد السودان جنوبا فِي فَتْرَة تمتد من منتصف القرن الخامِس الهجري إلى منتصف القرن السّادِس.

وتَحْت صنهاجة قبائل كَثِيرَة تَنْتَهِي إلى السّبْعين مِنهُم لمتونة وكدالة ومسوفة ومسراته ومداسة وبَنُو وارِث وبَنُو دحير وبَنُو زِياد وبَنُو مُوسى وبَنُو فشتال وغير ذَلِك وتَحْت هَذِه القَبائِل بطُون وأفخاذ تفوت الحصْر.

وعن تأسيس الدولة فإنَّه بعد أن انتقل خليفة الفاطميين المعز لدين الله إلى مصر، بعد ما اختط له قائده جوهر الصقلى مدينة القاهرة عهد بأمر المغرب إلى قائد من أعظم قادته، هو بلقين بن مناد الصنهاجي. وقد كان هذ البطل مؤسس عدة مدن جزائرية، مثل مدينة جزائر بني مزغنة، والمدية، وغيرها. فالتف زعماء صنهاجة بالجزائر، واتفقوا مع الأمير حماد على تأسيس دولة مستقلة ليتم اختيار مدينة القلعة سنة 398هـ، وحسب قول ابن الوردي: فإنَّ باديس *بن* مَنصُور *بن* بلكين صاحب إفريقية عقد فِي صفر مِنها الولايَة لِعَمِّهِ *حَمّاد بن* بلكين على أُشير فاتسعت ولايَة *حَمّاد* وعظم وجمع العساكر والأمْوال.

وفِي سنة خمس وأرْبَعمِائَة أظهر الخلاف على ابْن أخِيه باديس وخلعه واقتتلا فِي أول جُمادى سنة سِتّ وأرْبَعمِائَة فانْهَزَمَ حَمّاد هزيمَة شنيعة بعد قتال شَدِيد بَين الفَرِيقَيْنِ والتجأ إلى قلعة مغلية، وتحصن بها وباديس بِقُرْبِهِ محاصر لَهُ إلى أن توفّي باديس فَجْأة نصف لَيْلَة الأرْبَعاء آخر ذِي القعدَة سنة سِتّ وأرْبَعمِائَة.

دامت دولة بني حماد 171 عاما، تولى أمرها تسعة من الملوك، كان لهم السلطان المطلق عرفت الجزائر خلال هذه الفترة من الحكم معاهدات تجارية مع أغلب دول البحر الأبيض المتوسط، وكان الأسطول في أيامهم ضخما.

-الأوضاع السياسة بالدولة الحمادية:

حكم بنو حماد المغرب الأوسط من سنة 1018م/408هـ إلى سنة 1152م/547هـ، وأثناء هذه الفترة تعاقب على العرش الحمادي تسعة أمراء: حماد مؤسس الدولة وثمانية أمراء آخرون ينقسمون إلى ثلاثة فروع، الفرع الأول وينتسب إلى القائد بن حماد ويشتمل على القائد وابنه محسن، والفرع الثاني ينتسب إلى محمد بن حماد ويمثله أمير واحد وهو بلقين بن محمد، والفرع الثالث ينتسب إلى علناس ويحتوي على خمسة أمراء: الناصر بن علناس والمنصور بن الناصر وباديس بن المنصور والعزيز بن المنصور ويحيى بن العزيز كانت الحياة السياسية مضطربة جدًا في العصر الحمادي والتنافس شديد بين أفراد العائلة الحمادية، وقد وقعت معارك كثيرة بين الحماديين والزيريين وزناتة وبني هلال والمرابطين والصقليين والايطاليين

وفي النظام الاداري فقد انقسمت الدولة الحمادية إلى مجموعة من المدن، لكل مدينة حاكم يخضع للحاكم العام في العاصمة سواء كانت القلعة أو بجاية، وكان للمدن الحمادية كالجزائر «جزائر بني مزغنان» وبونة، وقسنطينة، وجيجل وأشير وحمزة وغيرها، عمال يغلب أن يكونوا من الأسرة الحمادية.

ب/التاريخ الحضاري :

تميزت الحياة الاقتصادية في الدولة الحمادية بالازدهار والرقي منذ تأسيس الدولة سواء في مجال الصناعية أو الفلاحة أو التجارة، ففي الصناعة نجد الادريسي يشير إلى أنَّ بجاية من المدن الصناعية عرفت بصناعة السفن بقوله: ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسر تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، ويذكر صاحب الاستبصار أنَّ بجاية لها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن.

وفي المجال الزراعي فقد كانت الزراعة هي القوام الأساسي لاقتصاد الدولة الحمادية فنجد أنَّ بني حماد من المهتمين بالفلاحة وتربية المواشي، فأرضهم خصبة صالحة لزراعة مختلف المحاصيل، وحسب المصادر التاريخية، يذكر لنا صاحب الاستبصار: هي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات، وجاء في نص الادريسي: والحنطة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير وبها من الفواكه المأكولة والنعم المنتخبة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنَّها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبد الدهر شباع وأحوالهم صالحة، ومن المحاصيل أيضا نجد الكروم التي اشتهرت بها منطقة القل وجيجل وعين الدفلى وبني وازلفن وشرشال، إضافة إلى الزيتون والبقول والفواكه ولمختلفة من تمور وتين وسفرجل، كما اهتم بنو حماد بتربية الحيوانات من بقر وغنم.

وفي المجال التجاري يذكر الادريسي أنَّ أهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة، كما كانت التجارة الداخلية نشيطة بين المدن كالجزائر وقسنطينة والمسيلة وأهم مراكزها التجارية كانت بجاية وقلعة بني حماد وقسنطينة وتاهرت والمسيلة والجزائر، يتم من خلالها تبادل المنتوجات المختلفة.

اما المجال الثقافي فأصبحت الجزائر خلال حكم دولة بني حماد من أكثر الأقطار الإسلامية رفاهية وعلماً ورخاء وأمناً، اشتهرت بعلمائها وشعرائها وحكماءها ممن ألفت فيهم وفي أعمالهم المجلدات ، من أمثال محمد بن على الصنهاجي صاحب كتاب «نبذة المحتاجة، في تاريخ صنهاجة» والمؤرخ ابن علي، واللُّغوي النحوي ابن العفراء، والمجتهد ابن الرماح... وغيرهم.

ومن المراكز الثقافية التي عرفت بالدولة الحمادية نجد القلعة التي اختطها مؤسسها حماد بن بلكين، وبجاية ويتم فيها تدريس مختلف العلوم من فقه وتفسير وعلم القراءات وعلم

كان اعتناء بني حماد بالفن المعماري بشكل كبير، فقاموا ببناء المباني العسكرية ببجاية وقلعة بني حماد من أسوار وأبراج كمبرج منار، إضافة إلى المباني الدينية التي ترتبط بالحياة

الدينية من مساجد، كمسجد بجاية ومسجد ملالة والمسجد الكبير ومسجد المنار بقلعة بني حماد والجامع الأكبر بقسنطينة وقصر البحر وقصر السلام وقصر الكوكب.

ويذكر ابن خلدون أنَّ حماد بن بلكين عند تأسيسه القلعة شيّد من بنيانها وأسوارها القلعة واستكثر فيها من المساجد والفنادق، فاستبحرت في العمارة واتسعت في التمدّن. ورحل إليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع، وجاء في نص صاحب الاستبصار: بنى حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر، وقد وضع في وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق، يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد. وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف، وفيه قصور غير هذا ومبان عجيبة؛ وفيها آثار للأول عجيبة

المحاضرة الثامنة

-الدولة المرابطية:

ا/التاريخ السياسي:

لقد نشأت دولة المرابطين في منطقة الصحراء الغربية، الواقعة جنوب وادي درعة مما يلي المحيط الأطلسي والمتصلة شمالاً ببلاد المغرب الأقصى وجنوبا ببلاد السودان، ويعتبر ظهور المرابطين حدثا بارزا في تاريخ المنطقة، أدى إلى تحول جذري في تطور الوضع السياسي ببلاد المغرب الإسلامي.

فمن هم المرابطون؟ وماهي أسس قيام حركتهم وانتشارها في رقعة واسعة من بلاد المغرب الأوسط؟

1-قيام الدولة المرابطية:

أ-أصل المرابطين:

ينتسب المرابطون إلى قبيلة صنهاجة، أشهر قبائلها لمتونة وكدالة ومسوفة ولمطة، تجمع بينهم أواصر الجوار واللّغة والديَانة والعادات والتقاليد، كاستعمال اللَثام، لذا سمَوا بالملثمين،

وينتسب الملثمون الذين عرفوا فيما بعد بالمرابطين إلى قبيلة لمتونة إحدى بطون صنهاجة أعظم قبائل البربر وسموا بالملثمين، لأنهم يضعون اللثام على وجوههم ليلا ونهارا حضرا وسفرا.

وكان أول ملك على هذه القبائل تيلوتان الصنهاجي اللمتوني، الذي نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، وملك بلاد الصحراء بأسرها، وكان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان يؤدون له الجزَية وتوفي سنة222هـ/832م، ثم تولى الحكم بعده ابنه تميم إلى 306هـ/916م، هذا الأخير تآمرت عليه أشياخ قبيلة صنهاجة فقتلوه، فافترق أمرهم مائة وعشرون سنة، إلى أن قام بهم أبو عبد الله محمَد بن تيفاوت المعروف بـ "تارشتا اللمتوني لمدة ثلاثة أعوام وبعد وفاته خلفه صهره يحيى بن إبراهيم الكدالي، ومع وصول هذا الأخير ستشهد هذه البلاد والمغرب الأقصى بداية تحول عميق في تاريخها.

-مراحل تأسيس الدولة:

لقد كانت أدوار عدة شخصيات تاريخية في قيام دولة المرابطين سواء فقهاء أو حكَام في تأسيس هذه الدولة التي مرَت بعدة مراحل حتى وصلت أوَج توسعاتها:

***مرحلة النشأة:**

-دور عبد الله بن ياسين:

لقد بدأت حركة المرابطين بدعوة تهدف إلى الإصلاح الديني، أشرف عليها فقيه يدعى عبد الله بن ياسين الجزولي، الذي أتى به شيخ قبيلة كدالة يحيى بن إبراهيم الكدالي منذ عودته من رحلة الحجَ سنة427هـ/1036م بغرض تعليم قومه مسائل دينهم، فراح يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فتعلق به النَاس والتف حوله عدد كبير من الأشخاص كلهم يمتثلون لأوامره فيما يخص العبادات والحدود وسائر الأحكام الشرعية، وبذلك أضحى يشكل خطرا حقيقيا على الأمراء والأشراف، فتآمروا عليه وتعرض للتيِّيق والشَدة وأخرجوه من بينهم حفاظا على امتيازاتهم، وفي تلك الأثناء عزم على إتباع طريقة أخرى محاولة منه الإصلاح وهي طريقة تقوم على إنشاء رباط، في جزيرة تقع في مصب نهر السنغال، فاتجه معه نفر قليل من الأوفيَاء وبعد فترة وجيزة من تأسيس الرباط ضاقت الجزيرة بأتباع عبد الله بن ياسين، ولمَا كمل معهم الألف من الرجَال، قال لهم شيخهم: "قد وجب علينا القيام بالحق والدعاء إليه وحمل

الكافة عليه وأخرجوا بنا لذلك، فخرجوا وقتلوا من استعصىَ من قبائل لمتونة وكدالة ومسوفَة وسمَاهم المرابطون، فأخضعهم بحد السيَف، هذا ما أدى بقبائل صنهاجة الإسراع بإعلان التوبَة وهكذا وحدَ الإمام ابن ياسين فروع قبيلة صنهاجة.

بعدما توفي الأمير يحيى بن عمر سنة 447هـ/1055م، أخذ عبد الله بن ياسين البيعَة لأبي بكر بن عمَر اللَمتوني، إذ ذاك تمكن المرابطون بالاستلاء على جنوب المغرب الأقصى حتى توفي عبد الله بن ياسين إثر حرب مع برغواطة في عام 451هـ/1059م.

وهكذا انتهت دعوة عبد الله بن ياسين التي كانت جهادا في سبيل الله وإصلاح الدين ومحاربة البدَع، إذ وجهَ تابعوه نحو نشر الدعوة وجمع كلمة القبائل الصحراوية، وبالتالي دخلت حركة المرابطين مرحلة التوسع على حساب الإمارات المجاورَة

ج-مرحلة التوسع:

في سنة 460هـ/1068م استقامت الإمارة إلى الأمير أبو بكر بن عمر على رقعة شاسعة تمتد من نهر السنغال إلى وسط المغرب الأقصى فأشاروا عليه بانتقال إلى فحص مراكش، وتأسست مدينة جديدة بهذا الاسم، ولكن سرعان ما توجَه إلى الصحراء لردع تمرَد جدالة على لمتونة واستخلف على المغرب ابن عمَه يوسف بن تاشفين، وقيل أنَّ زوجته زينت بنت إسحاق النفزاوية لم ترغب إلى الصحراء فطلقها عند انصرافه، فتزوجها يوسف بعد أشهر العدَة.

-دور يوسف بن تاشفين:

بعد أن تولى يوسف بن تاشفين ولاية المغرب بأمر من أبو بكر، واصل أعمال بناء مراكش وعمل على تقويَة الجيش وواصل تدبير أمور الدولة، وضرب السكة باسم أبو بكر بن عمر، وحقق انتصارات عسكرية مهمَة، فوصلت أخبار يوسف إلى ابن عمَه أبا بكر فعاد إلى المغرب من الصحراء وعندما شاهد قوَة يوسف بن تاشفين وعزمه على البقاء في منصب الإمارة، فإنَّ حدث بينهما صراع فإنَّ الدولة الناشئة سوف تنتهي قبل أن تبصر النور ممَّا جعله يقرر الرجوع إلى الصحراء وترك الإمارة لإبن عمَه يوسف، فركزَ هذا الأخير قواعد الدولة السياسية والعسكرية في بلاد المغرب واستولى على بقية المغرب الأقصى شمالا وضم بلاد الغرب الأوسط والأندلس

في الجنوب الأوروبي، وبذلك تمكن يوسف بن تاشفين أن يجمع بلاد المغرب والأندلس لتصبح تحت حكم الدولة المرابطية.

يعتبر عهد يوسف بن تاشفين عهدا حاف بالفتوح والانجازات استطاعت فيه الدولة المرابطية ان تنتقل من طور النشأة الى طور التوسع والازدهار ومن ابرز انتصاراته القضاء على امارة فاس المغراوية سنة 467هـ/1075م، ثم اخضاع الريف والاستلاء على طنجة 470هـ/1078م،ثم فتح بلاد المغرب الاوسط وضم الاندلس .

وفي سنة 500هـ/1106م توفي يوسف بن تاشفين وتولى بعده الامارة ابنه علي بن يوسف ، وسار سيرته فازدهرت الحضارة وعم العدل، وكانت له حروب مع الاسبان احرز فيها انتصارات، وظل الحكم بيده قائما لمدة 16سنة الى غاية ظهور المهدي بن تومرت الذي بدأ ثورته على المرابطين سنة 516هـ ، وبذلك اخذت الدولة المرابطية في الانحطاط بسبب انصراف الولاة الى الاستبداد والترف ، والذين ساعدوا المهدي بتصرفاتهم هده على انفسهم وعلى دولتهم ، وتوفي علي بن يوسف وخلفه ابنه تاشفين الذي دافع عن دولته الى غاية وافته سنة 539هـ فتولى ابنه ابراهيم الملك وهو ولد صغير ، مما عجل بسقوط الدولة اذ استطاع ابن تومرت من اقتحام الدولة سنة 541هـ والقضاء عليها

ب/الحياة الحضارية للمرابطين:

ازدهرت الحضارة المرابطية بفضل امرائها الذين اعطو عناية خاصة لكافة النشاطات فالتجارة نشطت بين محتلف اقطار المملكة فنجد ان بلاد المغرب الاوسط تحتل مركزا هاما بين بلاد السودان وبين الاندلس وجنوب اروبا الغربية واسترجعت مدينة تاهرت خلال عصرهم مكانتها القديمن من التجارة ، كما نشطت تلمسان بعد تاسيس تاقراررت، كما ازدهر النشاط العمراني بكافة اقطار الدولة المرابطية بما فيها الاندلس ومن مساجدهم مساجد وندرومة وجامع كتشاوة حاليا بالجزائر، وبنوا القصور والمنازل الفخمة بتاجراررت ، اما المجال االديني ، رغم ما امتاز به ذلك من ضيق الافق الفكري، والتشدد في التمسك بالفروع ونظرية اهل الحديث في العقيدة، فعملت على محاربة البدع ، انتشر المذهب المالكي سائر انحاء المغرب ، وكثر الاهتمام بالعلوم الدينية وخصوصا الفقه .

الا ان دعوة المرابطين الاصلاحية ، سرعان ما فقدت طابعها التجديدي ، فلم يتفتح علماؤها على مختلف النظريات والاراء التي نشات بالمشرق الاسلامي، بل تمسكوا باراء اهل الحديث الآخذه بالنصوص دون الراي وابطلوا نظريات الاشاعرة والمعتزلة ومنعوا العامة من الاشتغال بعلم الكلام وكانت هي نقطة الضعف التي انتهزها ابن تومرت عليهم، فاتخذ العقيدة سلاحا حارب به المرابطين.

المحاضرة التاسعة

-الدولة الموحدية:

ا/الحياة السياسية للموحدين:

تعاقب على المغرب الإسلامي عدة دويلات منها الدولة الموحدية، التي تعتبر أكبر دولة إسلامية وحدت بلاد المغرب تحت سلطة واحدة مستقلة عن المشرق الإسلامي،ومرّ تأسيس دولة الموحدين بمرحلتين، أوّلها مرحلة أبي عبد الله محمد بن تومرت، وقد بدأت هذه المرحلة من سنة 515هـ إلى 524هـ- 1121م إلى 1130م، وأسس ابن تومرت دعوته على أساس ديني قوامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أساس قبلي وهو الصراع بين القبائل البربرية، قبيلة لمتونة (المرابطين)، وقبيلة هرغة من مصمودة (الموحدين)، واتخذ محمد بن تومرت حصن تينملل مقرا له ولدعوته.

أمّا المرحلة الثانية فقد كانت بقيادة عبد المؤمن بن علي 524هـ إلى 543هـ -1130م إلى 1149م والتي توجت بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين وذلك من خلال معارك دامية بينهما.

قيام دولة الموحدين:

1- المهدي بن تومرت:

أ- نسبه و مولده:

ذكر المؤرخون أنّ المهدي اسمه محمّد بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن هود بن خالد بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب من أهل السوس، ولد وترعرع في قرية صغيرة تقع في المشارف الشمالية الأطلس الصحراوي في اتجاه واد السّوس تسمى "إيجلي أن" من قبيلة تسمى هرغة من قوم يعرفون بـ "إسرغين" وهم شرفاء المصامدة.

ولد بن تومرت في أواخر القرن 5هـ، أمّا عن تاريخ ميلاده فقد ذكر المؤرخين روايات تحدّد سنة ولادته تتراوح ما بين 468هـ - 494هـ، ويرجح الدكتور عبد المجيد النجار ولادته أنّها كانت سنة 473 هـ، شب المهدي بن تومرت قارئا محبا للعلم، حفظ القرآن الكريم في طفولته. كان يكنى بـ"أسفوا" ومعناه الضياء لكثير ما كان يسرج من القناديل بالمساجد لملازمتها.

ب- رحلته إلى المشرق:

خرج ابن تومرت من المغرب مهاجرا في سبيل طلب العلم في بداية القرن السادس هجري على رأس المائة الخامسة 500هـ أو 501هـ ومرّ الأندلس ودخل قرطبة، وهي إذاك دار علم ثمّ بألميرية، ثمّ أجاز إلى الإسكندرية ومن هناك إلى البقاع المقدسة حيث أدّى فريضة الحج، ثمّ رحل إلى العراق وهناك لقي العلماء وفحول النظّار وأخذ عنهم علمًا واسعًا، قضى ابن تومرت ما يقرب 10 سنوات يجوب عواصم المشرق الإسلامي .

واستطاع أن يتحصل على علوم متنوعة تجمع بين علوم النقلية والعقلية، كما لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنّة وأخذ عنهم واستحسن في الانتصار للعقائد السلفية، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية الشيعية وألف في ذلك كتابه في "الإمامة" الذي افتتحه في قوله "أعزّ ما يطلب".

أكدّ ابن تومرت في دعوته الإصلاحية تأكيدا قويا على النظرية الإسلامية بشأن المهدي، كما اعتمد ابن تومرت في تحديد مبادئ حركته على ثلاث مرجعيات أساسية هي: اعتبار التوحيد الأساس الذي يبنى عليه الدين، الاعتقاد بالإمامة وظهور المهدي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انطلق هذا الإمام راجعا إلى بلاد المغرب و في طريقه مرّ بالإسكندرية فأقام بها وبعدّة مدُن مغربية حتى وصل إلى بجاية سنة 511هـ/ 1117م وفي ملاّلة التقى الفقيه بعبد المؤمن بن علي، هذا الأخير الذي بيعه بمؤازرته ومن ملاّلة أرتحل ابن تومرت قاصدا المغرب الأقصى حتّى استقر به المقام في قرية إنجليز في هرغة سنة 514 هـ / 1120م ثمّ بعد ذلك رحل إلى تنمليل فاجتمع إليه الطلبة وسائر المصامدة الّذين بايعوه بالإمامة وتمت هذه البيعة 515 هـ/1121م سمي بالموحدين ليبدأ ابن تومرت جهاده ضد المرابطين بعد أن حاول إقناعهم بدعوته سلميا، وتوالت هجمات الموحدين ضد المرابطين في عهده غير أنَّ المهدي لم يعش طويلاً ليرى إنجاح دعوته، فبعد واقعة البحيرة بين المرابطين والموحدين سنة 524هـ، وافته المنية في رمضان 524هـ دفن في المسجد الملاصق لبيته.

2- عبد المؤمن بن علي:

أ- نسبه و مولده:

يذكر المؤرخ ابن أبي زرع الّذي يتتبع هذا النسب فيقول: "هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلى بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورزايع بن صنطور بن نذور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بربر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان" وقيل أنَّ عبد المؤمن كان يقول: "لست من كومية وإنّما نحن من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ولكومية علينا حق الولاة وهم الأخوال"، يتصل نسب عبد المؤمن بن علي بقبيلة كومية، كان مولده في قرية صغيرة تسمى تاجرة تقع على بعد ثلاث أميال من مرسى هنين، ولد عبد المؤمن في أواخر سنة 487 هـ أيام يوسف بن تاشفين وكانت وفاته في شهر جمادي الثانية 558هـ.

نشأ عبد المؤمن منذ طفولته محبا للقراءة والكتابة، حفظ القرآن الكريم وألمّ بشيء من السيرة النبوّية، بعد أن شب عبد المؤمن ارتحل في طلب العلم فنزل في تلمسان وأخذ العلم عن مشايخها ثم دفعه طموحه في طلب العلم إلى الرحيل نحو المشرق للدراسة والتحصيل.

ب-لقاءه بابن تومرت:

خرج عبد المؤمن من قريته بصحبة عمه "يعلو" بقصد السفر إلى المشرق من ميناء بجاية وبها نزل في مسجد الريحانة الّذي سمع فيه بأمر الفقيه السوسي (ابن تومرت) فتوجه إلى ملاّلة أين يقيم هذا الأخير، وجلس عبد المؤمن يستمع إلى دروسه وهناك استطاع الفقيه إقناعه بالإقلاع عن السفر نحو المشرق فبايعه عبد المؤمن على مؤازرته وارتحل معه إلى المغرب.

لقد كان عبد المؤمن حذقا في العلم ممَّا جعل الإمام يؤثره من الخصوصية والقرب، كما يعتبر من العشرة الذين بايعوه ودعوا الناس لبيعته، لقد عمل ابن تومرت على أن يكون صورة حقيقية له ولذلك أعده أتم الإعداد للقيادة والزعامة وعندما ظهرت الدّعوة الموحدية في طابعها العسكري ضد المرابطين جعله ابن تومرت على رأس الجيش. بعد وفاة المهدي 524هـ-1130م بايع الموحدون عبد المؤمن أميرًا عليهم بيعة خاصة وبعد سنتين بايعوه بيعة عامة 526هـ- 1132م، وذلك بجامع تينمل، إنَّ مبايعة عبد المؤمن أميرًا على الموحدين جعلته ينطلق جاهدًا في بناء دولة الموحدين فاستولى على المغرب (الأوسط) والأندلس وخطب له على منابرها.

بعد وفاة عبد المؤمن بن علي سعى شيوخ الموحدين لاخذ البيعة العامة لابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن في سنة (563هـ) ومنذ هذا التاريخ تسمى يوسف باسم أمير المؤمنين .قيل بأنه تملك بعد أخيه المخلوع محمد لطيشه ، وشربه الخمر، فخلع بعد شهر ونصف، وبويع أبو يعقوب ، وكان عارفاً باللغة والاخبار والفقه، متفننا، عالي الهمة ، سخياً، جواداً، مهيباً، شجاعاً خليقاً للملك.

كانت سياسة الموحدين بالأندلس في عهد يوسف بن عبدالمؤمن تدور على ثلاثة محاور:

استكمال السيادة الموحدية على الاندلس، والعمل على الحد من أطماع الممالك والأمارات الأسبانية، والمساهمة في ازدهار الحضارة الإسلامية في الاندلس.إلا أن الثورات العنيفة التي تعرضت لها دولة الموحدين اثخنتها

انصرف يوسف بن عبدالمؤمن إلى الجهاد في الأندلس وكان أول عبوره في صفر سنة 655هـ/1171م،نظم خلالها عدة غزوات ضد النصارى ، حقق فيها نجاحات رائعة ، ثم عاد إلى مراكش عام 571هـ/1176م بعد أن بنى جامع أشبيلية، استشهد ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن في 580هـ/1184م وكانت مدة حكمه اثنين وعشرين عاما

لما توفي ابو يعقوب يوسف اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبدالمؤمن على تقديم أبو يوسف يعقوب المنصور ، فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين ولقبوه بالمنصور، فقام بالأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أبهة الملك ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط احكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات، وفي عهده خاض صراع كبير مع بني الغانية، وحقق انتصارا كبيرا في معركة الارك التي كانت في عام 591هـ/ 1195م.

خلفه ابو محمد عبدالله الملقب بالناصر وكان عمره يوم ارتقاء عرش سلطنة المغرب والاندلس ثمانية عشرة عاماً وتولى الحكم عام 595هـ/1199م وقد كان شاباً طموحاً معتزاً بنفسه وبرأيه قليل الذكاء ولا يحترم أصحاب الخبرات الواسعة من رجالات دولة الموحدين، وأستبد بالأمور ورفض النصائح من أقرب المقربين من رجاله

انشغل محمد الناصر عند استلامه حكم الموحدين بثورة بني غانية التي نشطت من جديد، وكانت له كذلك مواجهة مع النصارى في معركة العقاب التي تعتبر السبب في هلاك الأندلس وبداية أفول شمس الإسلام في الأندلس ، حيث كانت النهاية. لم تكن موقعة العقاب سببا في تحطيم قوى السلطان الناصر بالأندلس فقط ولكنها أدت فوق ذلك إلى تدمير سلطان الموحدين في المغرب ايضا .

بعدها عيّن ولده أبا يعقوب يوسف الملقب بالمستنصر بالله وكان يومئذ طفلا وترك شؤون الحكم كلها للطفل ووزرائه واعتكف في قصره ، توفي في 610 هـ / 1214 م ، بعد أن حكم خمسة عشر عاما وبضعة أشهر.

وبموته بدأت بوادر الانهاك السياسي تنهش كيان الموحدين ومسلسل التدهور يزداد خاصة بعد معركة حصن العقاب (609هـ/1212م)، وأنها منذ ذلك الحين لم تعرف الاستقرار الذي عرفته من قبل، بعدها دخل الموحدون في دوامةلم تنتهي إلا بنهاية دولتهم.

كان أثر وقعة حصن العقاب بالأندلس أسبق منه في بقية أجزاء الإمبراطورية الموحدية، فمنذ سنة(610هـ/1210م) أخذت مدن الأندلس تسقط بيد إسبانيا النصرانية دون أن يستطيع الموحدون الدفاع عنها، وفي المغرب الإسلامي يبتدئ الانحلال الموحدي سنة(615هـ/1215م) ، وتلاحقت بوادر الضعف به، فقد انحسر نفوذ السلطة إلى المدن خاصة، حيث اعتصم بها الولاة الذين لم يعد لهم نفوذ على البوادي، كما اشتعلت الثورات في كثير من الجهات، ومازاد الأمر خطورة أن السلطة المركزية انتابتها فوضى، وأصبح أشياخ الموحدين يتلاعبون بملوكهم، فخلعوا عبد الواحد بن يوسف الأول، ثم قتلوه وبايعوا بعده العادل ثم خنقوه، وبايعوا المأمون ثم نكثوا، وبايعوا ابن أخيه يحي.

بعدها امتد الخلاف داخل الأسرة الحاكمة بتصارع أفرادها على السلطة مهملين بذلك أمور الخلافة والرعية مما جعل الدولة الموحدية تدخل في دوامة من الحروب والفتن الخارجية والداخلية، وهو ما انعكس سلبا على الخلافة التي تراجعت في جل الميادين، لم يفوت الفرصة بعض ولاة الموحدين إذ إستقلوا بولايتهم عن الدولة الموحدية، وعند تولي يحي ابن الناصر خلافة الموحدين ظهر ابن هود واستولى على حصون مرسية وخطب بها لبني العباس معلنا استقلاله عن الموحدين، وبذلك انتهت سلطة الموحدين على إقليم غرناطة، وكان أبو العباس

إدريس الواثق بالله المعتمد عليه الملقب بأبي دبوس آخر الخلفاء الموحدين الذي قتل سنة(668هـ/1271م)، وبموته انقرضت دولة الموحدين.

واستغلت القبائل المغربية ضعف الموحدين، وعدم القدرة على التصدي لهم فظهرت مجموعة من الدول اقتسمت حكم المغرب الإسلامي،وبسطت نفوذها وسلطانها على أحوازه وهذه الدول هي:

- دولة الحفصيين في المغرب الأدنى (625-981هـ) (1519-1573م).
- دولة بني مرين في المغرب الأقصى(668-869هـ) (1269-1465م).
- دولة بني زيان بالمغرب الأوسط (633-962هـ) (1239-1555م).

ب/التاريخ الحضاري للموحدين:

لاشك أن اهتمام خلفاء الدولة الموحدية بالجانب الحضاري لايقل اهمية عن الخلفاء الذين سبقوهم، ونظرا لكون المغرب الإسلامي، يزخر بإمكانيات جعلت منه إقليما فلاحيا، انتهج خلفاء الدولة الموحدية سياسة اقتصادية برزت ملامحها باستقامة أحوال الناس في كثير من الميادين، حيث حرص الخلفاء الموحدون على النهوض بالمنطقة في شتى المجالات زراعية كانت أم صناعية أو تجارية، وكان النظام المالي وما تضمنه من إدارة مالية مع سياسة مالية خاصة بالمصادر التي تجبى منها الأموال للحكومة المركزية، وموازنة ذلك بالنفقات التي كانت تشمل أوجه الإنفاق المختلفة، وإصدار عملات نقدية تنتظم بها المعاملات بين السكان، كان لذلك كله أثر كبير في دفع عجلة الاقتصاد بالبلاد إلى الازدهار، وبالتالي عم الرخاء والأمن واستقرار السكان.

وعمل عبد المؤمن بن علي على اعداد سجل المساحة والدخل المنتظم للضرائب ودفع جزء كبير منها الى صناديق الدولة وتوحيد العملة

وقد أشار المراكشي إلى تلك البحبوحة الاقتصادية التي عاشها أفراد المجتمع الموحدي خلال أزهى فتراته في قوله"ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعيادا وأعراسا ومواسم كثيرة خصب، وانتشار أمن، ودرور أرزاق، واتساع معايش، لم ير أهل المغرب أياما قط مثلها، واستمر هذا صدرا من إمارة أبي يوسف"، واستمرت فترة الرخاء بالبلاد في عهد المنصور الموحدي "حتى

كانت الضغينة تخرج من بلاد نول لمطة حتى تصل وحدها لاترا من يعارضها ولا من يكلمها حتى تصل إلى برقة".

وأشار بعض الرحالة الجغرافيون إلى تمتع كثير من مدن وقرى بلاد المغرب الإسلامي بوفرة في المزروعات كمدينة تلمسان وما فيها من الغلات والمزارع الخصبة، ومكناسة وما احتوته من مزروعات وحدائق، ومدينة مراكش ومافيها من الزرع، كما صور لنا ابن صاحب الصلاة الكميات الضخمة من القمح والشعير الذي أعده عبد المؤمن لجنوده حين عزم على العبور إلى الأندلس في قوله "وأعد–أي عبد المؤمن – من القمح والشعير للعلوفات والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة المذكورة ما عاينته مكدسا كأمثال الجبال، بما لم يتقدم لملك قبله،...بقي في ذلك الموضع معدا من عام سبعة وخمسين إلى عام اثنين وستين وخمسمائة حتى فني في أكداسه..." ، وهي صورة تعبر عن مدى وفرة محصول القمح وغيره من المحاصيل الأخرى الدالة على أن المستوى المعيشي للسكان كان في أحسن حال خلال العهد الموحدي.

اما ثقافيا فقد اولو اهتماما خاصا للعلم وطلابه، اذ ازدادت العلوم الدينية اهمية ، خاصة العلوم القرآنية والحديث ، وفي مجال الاعتقاد انتشر المذهب الاشعري في المغرب واقبل الناس على د راسة كتب الغزالي والباقلاني وغيرهم من كبار الاشاعرة ، ومن كبار علماء المغرب خلال هذه الفترة نذكر ابن غزلون، ابن ابي عرجون التلمساني ، كما نشطت الحياة الادبية بعض النشا ط ومن الادباء والشعراء نذكر ابن الفكرون القسنطيني الذي مدح الخليفة الموحدي

اما من الناحية العمرانية فقد اهتموا الموحدين بالجانب العمراني كالمدارس النعليمية الموجودة بمراكش، والقبة المنصورية والمسجد العتيق والروضة المقدسة، فضلا عن اصلاحهم بعض المساجد والجوامع كجامع الكبير التلمساني ، وتاسيس قبة سيدي ابي مدين ، كما قاموا ببناء دار للصناعة بمرسى هنين التي ساهمت في صنع مراكب كثيرو استعملت في غزو الاندلس